مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَـأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿ يَـأَيُّهَـا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَـا زَوْجَهَـا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَـاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً ﴾ [النساء : ١] .

﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً (٧١) ﴾[الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فقد طَفَتْ على السطح في الآونة الأخيرة ظاهرة خطيرة قد تودي بالصحوة الإسلامية، ولا أكون مبالغاً إن قلت أنها كادت أن تصيبها في مقتل، حتى أنها أثقلت خطاها وألجأتها إلى التوقف في المكان هنيهة من الزمن، وبعدما جدَّت في السير بدا عليها شيء من الإعياء والوهن، ولئن سألت عن هذه الظاهرة، قلتُ لك إنها تعالم الأقزام.

فقد ظهر في الساحة بعض الأقزام ـ ممن ينسبون أنفسهم للعلم والعلم منهم براء ـ ولقزامتهم لا تكاد العين أن تقع عليهم، فلما شعروا أنهم بعيدون عن مجال الرؤية، تخيروا بين حُلولهم الرديئة التي تتماشى مع طبيعة نفوسهم، فلم

يجدوا حلاً أنسب من أن يقفوا على أكتاف جبال من أهل العلم حتى يتسنى لهم الظهور، فخابوا وخاب مسعاهم .

فبدأ هؤلاء الأقزام يتطاولون على معظم أهل العلم، فلم يسلم منهم أحدٌ، فرموا كل واحد بتهمة تئن لحملها الجبال، وظنوا بذلك أنهم يصعدون، ولكنهم انحدروا واندحروا بعدما تركوا بعض أهل العلم مطعون فيهم، فلا هم ارتقوا ولا هم تركوا القافلة تسير[١] .

وقد تبنَّوا بعض الأفكار وطرحوها على الساحة، وبدأوا يصنِّفون الناس على أساسها، ومن أهم القضايا التي راجت في هذه الأيام، قضية حقيقة الإيمان، فنظرتْ كل فئة إلى هذه القضية من جانب، وظنتْ أنها على صواب، ومن خالفها رموه بأشنع البلايا، وسبَّوه بأقذع سباب، فطائفة رمت الأخرى بالإرجاء، وردت عليها الثانية بالاتهام بالتكفير، وانقسم المنتسبون للالتزام تبعاً لذلك من وجهة نظر الرائي إلى فئتين: مرجئة دعاة إلى ترك العمل، أو خوارج يدعون لتكفير مرتكب الكبيرة [٢] . [٣] .

---

(١) يقول الشيخ محمد بن أحمد بن إسماعيل: إن الميدان الدعوى اليوم يموج بحالة من الخلل الناشيء عن «التضخم الكمي» الذي فرض نفسه على حساب «التربية النوعية» الأمر الذي أفرز كثيراً من الظواهر المَرَضية من أخطرها تطاول الصغار على الكبار، والجهال على العلماء، وطلبة العلم بعضهم على بعض، حتى إن الواحد منهم ينسى قاموس التآخي، وما أسرع ما يخرج إلى العدوان على إخوانه، ويجردهم من كل فضل، فلا يحلُم ولا يعفو ولا يصبر، ولكن يجهل فوق جهل الجاهليا، بل إن من طلاب «آخر الزمان» من غاص في أوحال السب والشتم والتجريح، وانتدب نفسه للوقيعة في أئمة كرام اتفقت الأمة على إمامتهم، وهو لا يدرى أنما ذلكم الشيطان يستدرجه إلى وحل العدوان، وهو يحسب أنه يحسن صنعاً، ويتوهم أنه يؤدى ما قد وجب عليه شرعاً. فرحم الله من جعل عقله على لسانه رقيباً، وعمله على قوله حسيباً. من كتاب حرمة أهل العلم ص ١٠ .

(٢) يقول الشيخ/ محمد حسين يعقوب في شريط بعنوان «الموفق من يحبه الله» : هناك رسالة للعلامة/ بكر أبو زيد ، ينبغى أن نتعلمها وتكون منهجنا وهى تصنيف الناس بين الظن واليقين .

(٣) كثُرت المؤلفات عن فقه الخلاف، ومنها تستطيع أن تعلم من يخالفك، وفيما يخالفك، وما نوع الخلاف في المسالة، ولكن ما الأدب الذي يجب أن يلتزمه المختلفون فيما بينهم، وبخاصة إذا كان الخلاف سائغاً ؟، فالكلام فيه عزيز، لذا أرجو أن يقر أعيننا واحد من أهل العلم الثقات بمصنف جامع في «أدب الخلاف» ، لأن ما وصلنا إليه في هذه الأيام إنما هو ناشئ في المقام الأول عن سوء أدب تولَّد عن قلة علم صحيح، مع انعدام أو ضعف في التربية .

وبدأت الكتابات تكثر في هذه الأيام حول هذا الموضوع ولكن معظم هذه الكتابات تخاطب طلاب العلم المتقدمين، وهي في جملتها إما اجتهادات يغلُب عليها التعصب للرأى، فهي من باب أصَّل ثم استدِل، أو ردود على تلكم الاجتهادات، أو محاولات لإثبات الحق والإنصاف في المسألة ولكن بأسلوب قد لا يعيه إلا الفَطِن اللبيب، وفي غمرة هذا الزخم كنت أكتب في كتاب بعنوان «الأصول الأربعة» يسر الله لي إتمامه عما قريب، فوجدتُني بغير قصد أكتب في هذه القضية ـ رغم أني لست أهلاً لذلك ـ لأنها أول أصل من الأصول الأربعة التي تناولتها في هذا الكتاب، فلما نظرتُ إلى ما كتبتُ وجدته مسلكاً وسطاً بين الفئتين، وبعبارة بسيطة تتناسب مع من أراد أن يعرف أصل المسألة بغير عناء، وقد سلكتُ في إثبات أصل حقيقة الإيمان مسلكاً يتوافق مع الفطر السليمة، اعتمدت فيه أصلاً نفيساً وهو أن أنقل كلام السلف بفهمهم لا بفهم الخلف، وأرجو أن أكون قد وُفِّقتُ في ذلك، وإن كان فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولبيان لزوم التمسك بفهم السلف في مثل هذه القضايا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبَّر الكتاب والسُّنَّة، وما اتفق عليه أهل السُّنَّة والجماعة من جميع الطوائف؛ أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال، والأقوال، والاعتقاد، وغيرها من كل فضيلة أن خيرها القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النَّبي ﷺ من غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة من: علم، وعمل، وإيمان، وعقل، ودين، وبيان وعبادة، وأنهم أولى بالبيان لكل مُشْكَل، هذا لا يدفعه إلا من كابر المعلوم بالضرورة من دين الإسلام،وأضله الله على علم،كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من كان منكم مستنًّا فليستنَّ بمن قد مات؛ فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحابُ محمد أبرُّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلُّفاً، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم حقهم، وتمسَّكوا بهديهم؛ فإنهم

كانوا على الهدى المستقيم، وقال غيره: عليكم بآثار من سلف فإنهم جاءوا بما يكفي وما يشفي،ولم يحدُث بعدهم خير كامنٌ لم يعلموه . . .وما أحسن ما قال الشافعي رحمه الله في رسالته :هم فوقنا في كل علم، وعقل، ودين،وفضل، وكل سبب يُنال به علم،أو يُدرك به هدى، ورأيهم لنا خير من رأينا لأنفسنا) [١] .

وقال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ:

(إنما تتميز الدعوة السلفية في هذا المجال الذي يُدندن الجميع حول الكتاب والسُّنَّة، أنهم يدعون إلى فهم الكتاب والسُّنَّة على منهج السلف الصالح، لا يكتفون فقط بدعوة المسلمين إلى الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة، بل يزيدون على ذلك: الرجوع إلى الكتاب والسُّنَّة على منهج السلف الصالح) [٢] .

وإنما نقلتُ لك هذا الكلام لأن بعض الذين يتشدقون بمقولة العمل بالكتاب والسُّنَّة بفهم سلف الأمة ـ في هذه الأيام ـ لا يرتضي إلا فهمه هو إن كان ممن ينسبون أنفسهم للعلم، أو بفهم شيخه إن كان من المقلدة، فأقول لهذا وذاك: لن يستقيم حالنا، ولن تُكتب لنا النجاة إلا إذا فهمنا ألفاظ السلف بفهم السلف، لأنه قد يتفق اللفظ ولكن شتان بين مفهومه عند السلف ومفهومه عند الخلف.

لذا استخرت الله أن أنتزع هذا الفصل من الكتاب، وأجعله في جزء مستقل بعنوان « حقيقة الإيمان عند أهل السُّنَّة والجماعة »، وأسأل الله أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يثقِّل به ميزان حسناتي يوم القيامة، وأن يكشف به غمة، ويصرف به كربة ألمت بالأمة، وينفع به كاتبه، وقارئه، وناشره، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وهذه مجرد محاولة ممن لم يكن شيئاً مذكوراً، ولكن له قلب كم تحرَّق شوقاً

---

(١) مجموع الفتاوى ٤ / ٩٩ .

(٢) من تعليقه على محاضرة للشيخ/ محمد عيد عباسي عن الدعوة السلفية والمطبوعة باسم الدعوة السلفية وموقفها من الحركات الأخرى ص ٣٣- ٣٤ .

لاتفاق به يُوحَد الصف، ويلتئم به الجرح، وخوفاً من خلاف كله شر، وبخاصة إذا كان المختلفون يجهلون علام يختلفون.

فلكم منه غنمه، وعليَّ منه غُرمه، والله المستعان وعليه التُكْلان، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وفي خاتمة هذه المقدمة ، يجدر أن أشير إلى أنه كان من المقرر ألا يُطبع هذا الجزء إلا بعد أن أعرضه على جملة من أهل العلم الثقات، ولكن لاح في الأفق سببان دفعاني لتعجيل طَبْعِه:

أما الأول: ما ظهر بسبب هذه القضية من التناحر والتدابر والتهارج والقطيعة والوقيعة وانشقاق الصف على المستوى العام للدعوة، ثم تفادح فضرب بجذوره حتى وصل إلى الحواري والأزقَّة.

وأما الثاني: فهو تشاغل بعض أهل العلم عن النظر في مثل هذه الأجزاء التي يتقدم بها إليهم بعض الأصاغر مثلي رغم خطورة الموضوع، وشناعة ما يترتب عليه، ولا أقول ذلك رجماً بالغيب ولكن من خلال من عرضتُه عليهم، وهذا نذير شر ، فلله أشكو الوائدين قضيتي، الناسجين بصمتهم أكفاني ، وبذا يكون حق الرد والتعليق مكفول للجميع على اختلاف مشاربهم ونزعاتهم. والله من وراء القصد وهو به عليم.

وكتبــه

سعد سعيد أحمد عبده

غفر الله له ولوالديه ولسائر المسلمين

obeikandl.com

obeikandl.com

حقيقة الإيمان

وتحتوي على سبعة مباحث :

المبحث الأول : تعريف الإيمان

المبحث الثاني : مراحل الإيمان وخطواته

المبحث الثالث : من لم يعمل خيراً قط

المبحث الرابع : الإيمان يزيد وينقص

المبحث الخامس : الإيمان يقوى ويضعف

المبحث السادس : العلاقة بين قوة الإيمان وزيادته وضعف الإيمان ونقصه

المبحث السابع : خلاصة القول في المسألة

obeikandi.com